

أن تصنع زمنك الخاص

الفنان الفرنسي كريستيان بولتانسكي
يوظف أعمال التجهيز لمحاربة النسيانعمار المأمون
كاتب سوروي

عاش الفنان الفرنسي من أصل روسي كريستيان بولتانسكي طفولته في باريس أثناء الأربيعينات، حينها كان والداه اليهودي مطارداً بهدف ترحيله إلى معسكرات التركيز، ولينجو بحياته، اختبأ تحت بلاط المنزل في ممر سرّي لعام ونصف، حياتان عاشهما بولتانسكي إثر ذلك، الأولى تدعى الطبيعية، والأخرى مليئة بالخوف والرقابة الدائمة، خصوصاً أن والده حبيب "الأسفل"، كان يستمع لما يحدث في الأعلى، لكن الخوف منع الجميع من الحديث بالأمر حتى نهاية الحرب، ما ترك أثراً على تجربة بولتانسكي الفنيّة التي يحاول عبرها البحث عن المخفي والمنسي.

يقدم مركز بومبيدو في العاصمة الفرنسيّة باريس معرضاً لبولتانسكي بعنوان "Faire son temps"، يحاول فيه الفنان ذو الـ75 عاماً عبر مجموعة

إثرها على الخشب العديد من اللوحات التي اتلفت، وبقيت منها واحدة موجودة في المعرض، والتي تبدو منذ النظرة الأولى إليها محاولة منه لالتقاط ذاكرته الشخصية، وحيداً بلا ملامح في غرفة بلا حواف، يتكرر الزمن فيها

خرائط ضد الاختفاء

في السبعينات قام بولتانسكي باستعادة أرشيف أسرته، وحصل على مئة وخمسين صورة قام بترتيبها زمنياً على جدار، محاولاً تدوين ما تبقى من ذاكرته بصرياً، لرسم تخيل لجيل ماض لم يبق منه سوى صور مشوشة بالأبيض والأسود، وليبعث في هذه الصور الحياة بدأ منذ الثمانينات بتوظيف تقنيات التجهيز واستخدم مسرح الظل لخلق التناقض بين النور/الظهور والظلام/الاختفاء، وأنجز عملاً ساحراً تظهر ضمنه أشباح طفولته، وأطياف أسرته التي طاردهت في مساحات منسّية في ذاكرته.

استخدم بولتانسكي لإنجاز هذا التجهيز مواد مهملّة على وشك الاختفاء، كالأسلاك الحديدية المهترئة، وقطع النحاس المرهبة في القمامة، لنرى أنفسنا أمام بناء هش وحكاية ضبابية أشبه بالذاكرة وكيفية تكوينها، ليبدو وكأنه طفل يحاول عبر ما علق في عقله من صور هشة إعادة تكوين العالم من حوله، هذا العالم الذي لا يحوي إلا ما هو ومنسي و"مخرب"، ولا يكفي لرسم صورة ناصعة وواضحة، بل أشكال ضبابية تسائل حدود الذاكرة والمخيّلة.

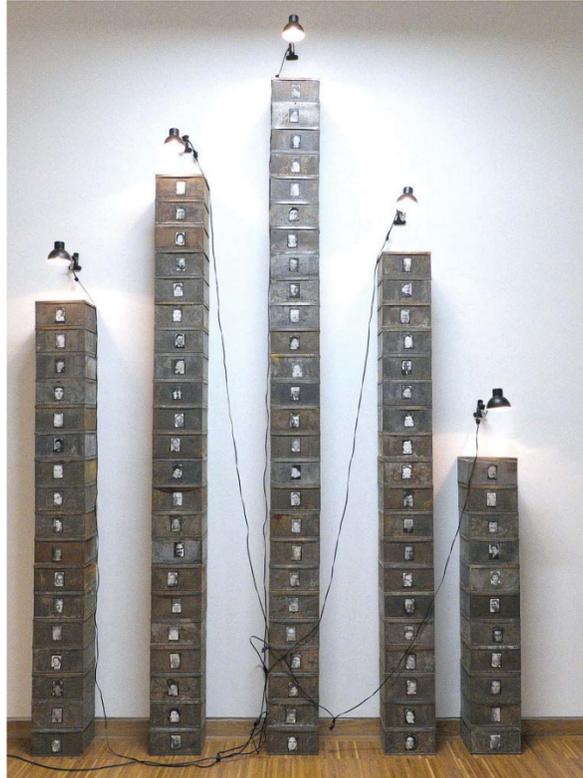
أرشيف لموتى

يتجاوز بولتانسكي ذاكرته الشخصية نحو ذاكرة الآخرين، طارحاً أسئلة على حكايات العالم وما تبقى منها، لتبدو أعماله ساخرة، أشبه بأسلحة خشبية بمواجهة ترسانة الموت، في ذات الوقت تحوي صيغة طقوسية تهرّج من الثلاثي.

وهذا ما نراه مثلاً في عمله "أرشيف الموتى السويسريين" الذي أنجزه عام 1991 والذي يظهر فيها النسيان نتاج خيار سياسي، فسويسرا التي اختارت الحياد ساهمت بالحفاظ على حياة مواطنيها في الحروب، مع ذلك هناك موتى في المصانع لا تحيط بهم هالة كضحايا الحروب، وهذا ما نراه في عمل التجهيز سابق الذكر، الذي يبدو بداية احتفالاً بهؤلاء الأشخاص الذي أخذ صورهم من مجلة الموتى في سويسرا، ثم الصق كل صورة على صندوق خشبي عتيق، في انتقاد ليبروقراطية الموت، وتحول ضحاياه إلى صور في صحيفة، ليأتي التكرار والتشابه في العمل أشبه بمحاولة لصدم المشاهد، الذي يرى أناساً رحلوا دون أن يعرف عنهم شيء، صورهم مرتبة ومرصوفة دون أي أثر يدل على ما اختبروه في حياتهم، ذات الأمر في عمل التجهيز "les Reliquaires" الذي يجمع صور أطفال يهود يرتدون ثياب العيد عام 1939، خالفاً أثراً عاطفياً لدى المتلقي، خصوصاً أنه يجيل عبر هذه الصور إلى ضحايا الهولوكوست، ليرتبك المشاهد أمام ما يراه هل هذه صور موتى أم أحياء، فضبابية الأوجه جعلهم



أشباح الذاكرة



أرشيف لموتى منسيين



كهرباء الاختفاء اليومي

أقرب لأطياف تشابههم من فقدانهم أو عرفانهم ولم يبق من صورهم سوى ظلال.

نشاهد في المعرض أيضاً الأعمال التي أنجزها بولتانسكي في الألفية الجديدة، كـ"رحيل" الذي يعود لعام 2015، ويستعير فيه من "فن النيون" والإعلانات، خالفاً التناقض بين كلمة "رحيل" وبين الشكل المبهرج الذي كتبت فيه، كما أن الأسلاك المتشابكة والمرهبة التي تبعث في الكلمة "الضوء" تحيل إلى الاختلاف بين الشعري والميكانيكي، والمفهوم المتعالي المتمثل بالرحيل، والتقنيات المعاصرة التي تجعله منه قابلاً للتقيد بللمسة واحدة، ما يخلق تناقضاً وارتباكاً في عقل المتلقي، وهذا يسعى له بولتانسكي في أعماله الأخرى التي يشوش فيها علاقتنا العاطفية مع الموت والرحيل والاختفاء، إذ تبدو احتفالية وساخرة في ذات الوقت، وهذا ما نشاهده في عمل آخر بعنوان "شفق" المؤلف من مجموعة أسلاك متشابكة في نهاية كل منها ضوء، كل يوم يطفأ واحد منها حتى نهاية المعرض حين تطفأ جميعها، وكان بولتانسكي يُعلق على مرور الزمن وتدفعه الألي، الذي وإن اختفت علاماته الواضحة (الضوء)، بقي أثره موجوداً يمكن أن يظهر في حال أردنا النبش في خبايا الذاكرة وظلامها.

بولتانسكي استخدم لإنجاز هذا التجهيز مواد مهملّة على وشك الاختفاء، كالأسلاك الحديدية المهترئة، وقطع النحاس المرهبة في القمامة، لنرى أنفسنا أمام بناء هش وحكاية ضبابية أشبه بالذاكرة وكيفية تكوينها

لا يكتفي بولتانسكي بمساحات المعارض بل يلجأ إلى الـ"Land Art"، إذ نشاهد فيديو لعمل التجهيز الذي أنجزه في باتاغونيا في قرية بوستامنتي عام 2017 بالتعاون مع عدد من المهندسين الصوتيين لبناء ثلاثة تكوينات ضخمة، تعبرها الريح لـ"تعرف" ما يشبه غناء الحيتان، التي تجتمع مرة واحدة في السنة في ذلك المكان، ليبدو العمل الضخم أشبه بمحاولة لبعث الحياة في تلك المساحة المنسية عبر أغنية تعزفها الريح، أغنية شعريّة عن تحبب الذاكرة، تدفع المستمع لتخيل رحلة الحيتان الوحيدة التي تحركها عبر المحيطات لحظة لقاء لأجل أغنية.